لاجئون سوريون في وقفة احتجاجية بالرباط

مئات الأسر مهددة بالتشرد بسبب «تعقيدات قانونية»

محنة اللاجئين السوريين بالمغرب

■ ميلود الشلح■

ندير، طفل في السادسة من عمره، من أب سوري وأم مغربية لاجئين بالمغرب منذ بداية الثورة السورية.

رغم حداثة تواجده بموطن والدته إلا أن ندير يتحدث الدارجة المغربية بطلاقة لا تؤثر فيها لكنة أبيه السورية، ويفتخر بذلك بشدة ويصر على أن يبرهن على حبه للمغرب باستظهار النشيد الوطني الذي حفظه عن ظهر قلب، دون أن ينسى ارتباطه بموطنه الأصلي سوريا. فحين تسأله عن مكان ولادته، يجيبك ندير ببراءة الطفولة قائلا: «أنا من درعة البلد، التي دعست على بشار الأسد».

عيناه الصغيرتان يشع منهما بريق كله أمل في العيش الآمن والاستقرار بين ظهراني المغرب الذي يحب ويتشبع بوطنيته، لكن على ما يبدو فإن هذا الوطن لا يقابل الطفل الذي جاء لاجئا إليه من الحرب، بنفس الحب، وذلك بسبب وجود «عوائق» قانونية تحرم ندير من حلمه بالاستقرار وتهدد أسرته بالتفكك...

سائح أم لاجئ؟

منذ أواخر شهر فبراير من عام 2011، حل المواطن السوري فادي أبو لغد وزوجته المغربية حنان وابنهما ندير بالمغرب. ومنذ ذلك الوقت وفادي يسابق الزمن من أجل الحصول لنفسه على بطاقة الإقامة، غير أنه -كما يقول- اصطدم بعدة تعقيدات قانونية حالت دون الحصول على مراده.

«السلطات المغربية تشترط علي استصدار تأشيرة التجمع العائلي من سوريا لكي تمنحني بطاقة الإقامة، لكن هذا الشرط صعب بالنسبة إلي بل مستحيل»، يشرح فادي العائق الأساسي الذي ينغص عليه استقراره في المغرب، مشيرا إلى أنه مطلوب أمنيا في سوريا لكونه ناشطا سياسيا ثائرا ضد نظام بشار الأسد.

تنقل أبو ندير بين عدة إدارات ومؤسسات ووزراء ومسؤولين بحثا عن حل بديل، لكن جميع الأبواب سدت في وجهه، وفق تعبيره. «الكل يعتبرني مجرد سائح لأني دخلت البلد بتأشيرة سياحية، ويطالبوني بالانتظار حتى تهدأ الأوضاع في سوريا لأحضر تأشيرة التجمع العائلي»، يضيف موضحا أنه أمام هذا الوضع، لجأ إلى المفوضية السامية لشؤون اللاجئين بالرباط من أجل تسوية وضعيته القانونية مؤقتا.

انعكاسات سلبية

عدم توفر فادي على الإقامة جر على الأسرة الصغيرة، التي تقطن في شقة مكتراة بمدينة سلا، انعكاسات اجتماعية واقتصادية سلبية.

أم ندير حامل بطفلها الثاني، لكن انشغال فادي وزوجته بمستقبل الأسرة ينسيهما الابتهاج بهذه البشارة السارة.

والأب الذي جاء إلى المغرب بنية الاستثمار والاستقرار، بات اليوم عالة على أقاربه الذين يعيشون في بلدان أوروبية، بعدما اصطدمت رغبته في تأسيس مشروع استثماري بحرمانه من بطاقة الإقامة. صار رب الأسرة بعدما كان تاجرا كبيرا للأثواب في سوريا، مضطرا للعيش بما يتلقاه من مساعدات من طرف أقاربه في الخارج.

أكثر من هذا فإن الرجل، كما يقول، يعامل كما لو كان مهاجرا غير شرعي، بحيث لا يحق له حتى فتح حساب بنكي باسمه يستقبل فيه الدعم المالي من طرف أقاربه في الخارج.

معاناة مشتركة

أسرة فادي ليست وحدها التي تعاني من هاته المشاكل بسبب عدم ترخيص السلطات لها بالإقامة، بل يتخبط فيها مئات السوريين الذين اختاروا المغرب كملجأ لهم بعيدا عن حمام الدم في سوريا.

خليل عبدو، مستثمر سوري مقيم بأكادير منذ مدة، لكن مؤخرا التحقت به زوجته وأبناؤه هربا من الأوضاع غير الآمنة في بلدهم.

عندما تقدم خليل إلى السلطات بطلب استصدار بطائق الإقامة لزوجته وأبنائه، قوبل بالرفض بدعوى أنهم دخلوا البلد بتأشيرات سياحية وليس في إطار التجمع العائلي. ويصعب في ظل الفوضى التي تعيشها سوريا حاليا السفر من أجل الحصول على الوثائق المطلوبة.

هناك نموذج آخر لفتاة سورية جاءت لتعيش مع والدها بفاس، لكنها اليوم تضطر لتحيين تأشيرة إقامتها بالمغرب كل شهر لعدم حصولها على بطاقة الإقامة التي تجدد كل سنة.

لقمان، مواطن سوري مقيم مع أسرته بمدينة تارودانت منذ ست سنوات. تحدث مع «أخبار اليوم» بدارجة قحة تدل على اندماجه في المجتمع المغربي. قال، بحكم علاقته الوطيدة مع العشرات من أبناء وطنه المتواجدين بالمغرب، إن أكثر من 35 عائلة سورية توافدت على مدن فاس وأكادير وبني ملال ووزان في الآونة الأخيرة، من أجل الاستقرار، لكنها صدمت بما وصفه بـ«التعقيدات» القانونية مباشرة بعد دخولها المغرب مع الأزواج أو الأقارب.

وأضاف أن المئات من اللاجئين السوريين، الذين حلوا مؤخرا بالمغرب، صدموا بقرار السلطات المغربية عدم منحهم الإقامة بدعوى أنهم دخلوا البلاد بتأشيرات سياحية.

واعتبر لقمان هذا القرار غير منطقي، مشيرا إلى تسببه في تشتيت العديد من الأسر السورية أو المختلطة. «تصور أن هذه العائلات تواجه خطر الطرد في حالة انتهاء صلاحية التأشيرة السياحية، فيتسبب ذلك في تشتيت الأسر وتفككها»، يستطرد المتحدث ملتمسا من السلطات المغربية تسهيل المساطر القانونية من أجل تمكين هاته العائلات من الاستقرار.

في انتظار الفرج

داخل غرفة صغيرة بشقته، يمضي فادي ما يتبقى له من الوقت الذي يقضيه كل يوم في التنقل بين مختلف المسؤولين ومقرات الوزارات والمؤسسات المعنية بشؤون اللاجئين محاولة منه لحل المشكلة التي تؤرق باله.. يمضي ما يتبقى من وقته وهو يتتبع أخبار جرائم بشار الأسد في حق السوريين ويتواصل مع معارفه وأصدقائه عبر صفحات الفايسبوك، وينسق مع مواطنيه اللاجئين بالمغرب ويطلعهم على مستجدات قضيتهم.. في انتظار أن يأتي الفرج.

لاجئ سوري: أناشد الملك بأن ينقذ أسرتي من التشتت

فادي وابنه وزوجته

«لقد فقدت الأمل في جميع المسؤولين والمؤسسات، ولم يبق لي سوى الله والملك محمد السادس، لذلك أناشد جلالته بأن يتدخل لتسوية وضعيتي وإنقاذ أسرتي من التفكك والتشتت..»، يقول اللاجئ السوري فادي أبو لغد مستنجدا وعيناه مغرورقتان بالدموع.

ويضيف الرجل أنه لا يريد دعما ماديا، كل ما يطلبه هو منحه الإقامة حتى يتمكن من العيش في استقرار كأي أب مع أسرته. «الإقامة الشرعية.. هذا كل ما أريده ولا أطلب مساعدات فأنا لست عالة على المغرب»، يردد فادي. أكثر ما يحز في نفس أبي ندير هو «الجفاء» الذي قوبل به وأسرته من طرف البلد الذي أحبه أفرادها: المغرب. يقول: «لولا تشبث زوجتي وابني بهذا البلد لما مكثت به، ولغادرت إلى أي بلد أوروبي لأقيم فيه معززا مكرما وبدون تعقيدات قانونية.. لكنني ضحيت بذلك من أجل أسرتي، فهل هذا هو جزائي؟».

تضحية أخرى يرى فادي أن المغرب لم يقدرها له، هي حين خاطر بنفسه من أجل إنقاذ مواطنين مغربيين من الموت تحت نيران نظام بشار، هما زوجته وابنه. ففي البدايات الأولى لاندلاع الثورة السورية، وجد فادي نفسه مطاردا من قبل المخابرات السورية بسبب نشاطه السياسي والحقوقي «المعادي» للنظام، وصدرت مذكرة ضده تمنعه من مغادرة التراب الوطني. ومع اندلاع الشرارة الأولى للمواجهات في درعة، بعدما كتب أطفال على الجدران عبارة «جاك الدور يا دكتور» واعتقالهم وتعذيبهم.. اضطر الرجل إلى القيام بمغامرة لترحيل زوجته وابنه صوب المغرب ريثما تهدأ الأوضاع في البلد.

استصدر لنفسه ولزوجته تأشيرة دخول المغرب ثم قصد المطار رغم علمه بمنعه من السفر. كان ينوي مرافقة زوجته وابنه إلى أهلها بالمغرب ثم يرجع إلى بلده، لكن القدر كانت له مشيئة أخرى.

«عندما وصلنا نقطة مراقبة الجوازات، وضعت وسط جواز سفري مبلغ 300 دولار وقلت للموظف أرجوك أسرع لأني في عجلة من أمري. ابتهج الموظف بتلقي ذلك المبلغ ثم ختم على جواز السفر من دون أن ينقط اسمي على جهاز الحاسوب ويعرف أنني ممنوع من السفر.. ثم مررنا إلى الطائرة بسلام». لحظات قبل إقلاع الطائرة، رن هاتف فادي. كان في الطرف الآخر من الخط ضابط مخابرات. قال له: «نحن نحاصر منزلك، إذا لم تنزل حالا فسنقتحمه». أجابه فادي: «أمهلني خمس دقائق لأودع أهلي»، فجاءه الرد من الضابط: «إياك أن تحاول الهرب، المنزل محاصر».

«في تلك اللحظة دارت محركات الطائرة استعدادا للإقلاع. ودار معها قلبي ولم أشعر بالاطمئنان حتى ارتفعت الطائرة في السماء.. وعندما حطت الطائرة بمطار أبوظبي، اتصلت بالضابط فسبني وشتمني، فقلت له عاشت سوريا وليسقط بشار الأسد. ثم اتصلت بأهلي فعلمت أن المخابرات اعتقلت أخي مكاني أنا».

أكثر من 400 لاجئ سوري

حوالي 400 مواطن سوري دخلوا المغرب مؤخرا بطريقة غير شرعية، عبر الحدود مع الجزائر، وفق ما كشفت عنه المفوضية السامية لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة.

مصدر من أوساط اللاجئين السوريين بالمغرب أوضح لـ«أخبار اليوم» أن السوريين يتوافدون بكثافة على الجارة الجزائر نظرا لعدم وجود نظام التأشيرة بين البلدين.

لكن ما أن يصل هؤلاء إلى الجزائر هربا من بطش نظام الأسد، حتى يجدوا في انتظارهم مضايقات أشد من طرف مسؤولي البلد الصديق لبشار، حيث تعتبر سلطات الجزائر هؤلاء «المنشقين عن سوريا» مهاجرين غير شرعيين فوق أرضها، وبالتالي تشدد الخناق عليهم، ما يدفعهم إلى التسلل نحو المغرب عبر الحدود البرية.

المصدر ذاته أضاف أن الـ400 سوري الذين دخلوا المغرب بطريقة غير شرعية، التجؤوا إلى المفوضية السامية لشؤون اللاجئين من أجل الحصول على بطائق إقامة مؤقتة في انتظار تسوية وضعياتهم القانونية بالمغرب.

وارتباطا بنفس الموضوع، لا تستبعد مصادر من وزارة الخارجية أن يستمر تدفق اللاجئين السوريين على المغرب، في ظل توافر معطيات تؤكد أن عددا كبيرا منهم وصل إلى تونس والجزائر، في انتظار التحول إلى المغرب، بسبب استقرار البلاد، وموقف المساندة الذي تتبناه الرباط من القضية السورية.

وقالت المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، إن المغرب يظل الوجهة المفضلة لدى اللاجئين السوريين، وذلك بفضل الاستقرار الذي يعرفه المغرب، وعدم تأثره بثورات الربيع العربي، مقارنة مع منطقة الشرق الأوسط وبعض بلدان شمال إفريقيا، في إشارة إلى ثورتي الياسمين في تونس، والثورة الليبية اللتين أطاحتا بالرئيسين زين العابدين بن علي والعقيد معمر القذافي.

وتستفيد الجالية السورية المقيمة بالمغرب، في الظروف العادية، من بطاقة إقامة تجدد سنويا وتضمن لهم الاستفادة من كافة الحقوق الممنوحة للأجانب المقيمين بالمملكة.

ويوجد بالمغرب أفراد وعائلات سورية، اختاروا الاستقرار بالمغرب واستثمروا أموالهم في مشاريع مختلفة منذ أربعين سنة.

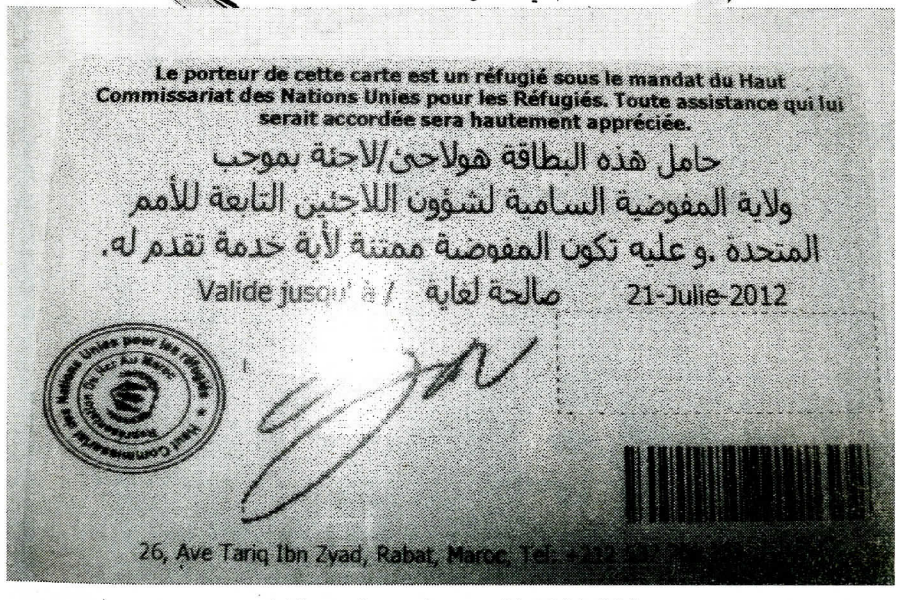

بطاقة الاقامة المؤقتة التي تمنحها مفوضية شؤون الاجئين

> السلطات المغربية تشترط علي استصدار تأشيرة التجمع العائلي من سوريا لكي تمنحني بطاقة الإقامة، لكن هذا الشرط صعب بالنسبة إلي بل مستحيل